ذَهَبَتْ بابْنِ الزِّبَعْرَى وَقْعَةٌ كان مِنّا الفَضْلُ فيها لَوْ عَدَلْ
ولقد نِلْتُمْ ونِلْنَا مِنْكُمُ وكذاكَ الحَربُ أحياناً دُوَلْ (١)

ومن أجَلّ المواقف التي تجلّى فيها حسّان مُنافِحًا عن الإسلام موقفُه حينما قدِم على الرّسول ﷺ وفدُ تميم وفَزَارَة ليفاخِروا الرّسول على عادتهم في المنافرات الجاهليّة ، وكان على رأس هذا الوفد عدد من سادات أولئك الأعراب ؛ منهم قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ وعمرو بن الأهتم المِنْقَرِيّ والأقرع بن حابس المُجَاشِعِيّ ، وهؤلاء هم رؤساء تميم ، وعُيَيْنَةُ بن حِصْن الفَزَاري فلمّا دخلوا المسجد نادوا رسول الله من وراء حجراته بأصواتٍ عاليةٍ جافية « اخرج لنا يا محمد فقد جئنا لنفاخرك ، وقد جئنا بخطيبنا وشاعرنا ! » فخرج الرّسول لهم وجلس النّاس ، ولما أذن لهم بالكلام قام خطيبهم عُطارِدُ بن حاجب الدّارِمِيّ ؛ فخطب خطبة يفخر فيها بكثرة عديدهم و وفور أموالهم وقام شاعرهم الزِّبْرِقانُ بنُ بَدْرٍ السَّعْدِيُّ فألقى قصيدة يقول فيها :

نَحْنُ الملوكُ فلا حَيٌّ يُقَارِبُنَا مِنّا الملوكُ وفينا يُؤْخَذُ الرُّبُعُ
تِلْكَ المكارِمُ حُزْنَاهَا مقارَعَةً إذا الكرامُ على أمثالِها اقْتَرَعُوا (٢)

وهي قصيدة لا نجد فيها إلا ما اعتدنا عليه من المُفاخرات الجاهليّة بالقوّة والقهر والسّيادة والإطعام عند المَحْل .

وندب الرّسول للرّدّ على خطيبهم ثابتَ بْنَ قيسِ بن الشّمّاس الخزرجيّ فألقى خطاباً جميلاً تحدّث فيه عن اصطِفاء الله تعالى محمداً ﷺ لتبليغ رسالته ، وعن دعوة الإسلام واستجابة الأنصار لها ودفاعهم عنها . وكان حسّان بن ثابت غائباً فبعث رسول الله ﷺ إليه ، فلما سمع قصيدة الزّبرقان

(١) القصيدتان في سيرة ابن هشام ، ج ٢، ص ١٣٦-١٣٨ .

(٢) قوله « فينا يؤخذ الربع » يشير به إلى أنه كان من عادة العرب في الجاهلية إذا غزوا وغنموا أن يأخذ الرئيس رُبُعَ الغنيمة خالصاً له . وقوله مُقارَعةً : أي غَلَبةً وقهراً .